

نظرية الأدب المعاصرة عند تيري إيجلتون* و فريديريك جيمسون* Contemporary Literary Theory Terry Eagleton has and Frederic Jameson

مخلوف ربيحاوي¹

جامعة يحي فارس بالمدينة الجزائر
rebihaoui.makhlouf@univ-medea.dz

تاريخ النشر: 2026/06/09	تاريخ القبول: 2026/06/06	تاريخ الإرسال: 2024/09/08
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

انطلاقاً من حركة التنظير الحديثة مع بدايات القرن العشرين، التي بدأها الشكليون الروس مبكراً، فقد حاولوا التنظير للأدب من خلال أحد أهم مكونات الأدب الداخلية وهي اللغة، وذلك بالبحث الجوهري عن مكنون الرسالة الأدبية الذي يميزها عن أي رسالة لغوية أخرى، باعتبار أن الأدب نشاط إنساني متفرد، وممارسة لغوية بحتة، فهو بهذا الاعتبار مغلق على نفسه لا يتجاوز حدود أدبية الأدب، وغير متعلق بالدراسات التاريخية والاجتماعية والفكرية والنفسية، والهدف من كل هذا هو فصل النظرية النقدية عن غيرها من مجالات الدراسات الأخرى.

سنحاول في هذا البحث التطرق إلى النظرية النقدية المعاصرة عند ناقلين مميزين يمثلان التيار الماركسي المعتدل والمتفتح على المفاهيم الحداثية وما بعد حداثية، وهما الإنجليزي تيري إيجلتون، والأمريكي فريديريك جيمسون.

الكلمات المفتاحية: نظرية الأدب، تيري إيجلتون، فريديريك جيمسون، التيار الماركسي، النظرية النقدية.

*- Terry Eagleton مفكر ومنظر وناقد أدبي وأكاديمي بريطاني ماركسي بارز، ولد عام 1943 بسالفورد في بريطانيا، من كنبه: نظرية الأدب، كيف نقرأ الأدب، النقد والإيديولوجية، أوهام ما بعد الحداثة، الماركسية والنقد الأدبي.

*- Fredric Jameson ناقد أدبي أمريكي ومنظر سياسي ماركسي، ولد عام 1934 بكليفلاند، ولاية أوهايو بأمريكا، من كتبه: ما بعد الحداثة المنطق الثقافي للرأسمالية المتأخرة - اللاوعي السياسي - الماركسية والشكل.

1 دكتوراه لغة وأدب عربي

Abstract

Based on the modern theoretical movement at the beginning of the twentieth century, which was started by Russian formalists early on, They tried to theorize literature through one of the most important internal components of literature, which is language, This is done by searching fundamentally for the essence of the literary message, What distinguishes it from any other linguistic message, Considering that literature is a unique human activity, And purely linguistic practice, In this regard, he is closed in on himself and does not exceed the limits of literature, and Not related to historical, social, intellectual and psychological studies, The aim of all this is to separate critical theory from other fields of study.

In this research, we will try to address the contemporary critical theory of two distinguished critics, They represent the moderate Marxist current that is open to modern and post-modern concepts, They are the Englishman Terry Eagleton and the American Frederic Jameson.

Keywords: Literary theory, Terry Eagleton, Frederic Jameson, Marxist trend, Critical theory.

مقدمة:

إنَّ سؤال الأدبيَّة ظلَّ مُرافقاً للأدب، ومُلزماً له منذ القديم، وبالعودة إلى الجُذور الأولى للنَّظرية الأدبيَّة، نجد أنَّ كتاب "فنَّ الشَّعر" للفيلسوف الإغريقي "أرسطو" يُعدُّ أوَّل كتاب يتناول مفهوم النَّظرية الأدبيَّة، كما يُعدُّ جهد "أرسطو" في هذا الكتاب أوَّل جهد فكري مُنظَّم ومُمنهج، ومع أنَّ "أرسطو" كان يُؤسِّس للفنون بصفة عامة، إلَّا أنَّه خصَّ الشَّعر بالتَّأصيل من خلال تطرُّقه إلى ثلاث عناصر مهمَّة، تُشكِّل القاعدة الأساسيّة للنَّظرية الأدبيَّة، وهي:

- أولاً المفهوم (الماهية)
- ثانياً الأداة (الوسيلة)
- ثالثاً الوظيفة (الأهداف)

حيث يعتبر "أرسطو" الفنون ومنها الشَّعر بأنَّها محاكاةٌ للطبيعة، والتي هي بدورها انعكاسٌ للواقع، بخيره وشره، وعلى الفنَّان (الشَّاعر) استخدامُ خياله كي يعيد رسم هذا الواقع، كما يراه، أو كما يتمنَّى أن يراه، أو يعود إلى الوراء ويرسم بخياله ما كان، أو ما يتخيَّله قد كان، وهي بهذا محاكاةٌ للعالم الحسِّي الذي نعيشه، بكلِّ شخصياته وأفعاله وانفعالاته، وخیالاته، ولا يُحاكي بتاتا عالماً عقلياً، كما صوَّر ذلك أفلاطون في عالمه المثالي، وتعدُّ المحاكاة أوَّل نظرية أدبية صيغت في التَّاريخ، وأرسطو أوَّل من فصل من خلالها فنون الأدب بصفة عامة، والشَّعر بصفة خاصة.

وبالنَّسبة للشَّعر (موضوع كتاب فنَّ الشَّعر بصفة خاصة) فوسيلته اللُّغة والوزن والإيقاع، وموضوعه أفعال البشر (من خير وشر)، وطريقته إمَّا سرد وإمَّا تمثيل، وإمَّا بهما معاً. أمَّا الوظيفة فإنَّ الفنون السَّردية والتمثيلية تهدف عند "أرسطو" في النِّهاية إلى تصفية الانفعالات الإنسانيَّة من خلال إثارة عاطفتي الشَّفقة والخوف، وهذا ما أسماه أرسطو بالتَّطهير "وبأحداث تنثير الشَّفقة والخوف، وبذلك يحدث التَّطهير من مثل هذين الانفعاليين"²، وهذه القاعدة (التَّطهير) هي الغاية والهدف من الشَّعر، وهي غاية معنوية، متعلِّقة بالمشاعر والأحاسيس الإنسانيَّة.

انطلاقاً من حركة التَّنظير الحديثة مع بدايات القرن العشرين، التي بدأها الشَّكليون الرُّوس مُبكراً، فقد حاولوا التَّنظير للأدب من خلال أحد أهمِّ مكوّنات الأدب الدَّاخلية وهي اللُّغة، وذلك بالبحث الجوهري عن مكنون الرِّسالة الأدبيَّة الذي يُميزها عن أي رسالة لغوية أخرى، باعتبار أنَّ الأدب نشاطٌ إنسانيٌّ متقرَّد، ومُمارسة لغوية بحتة، فهو بهذا الاعتبار مُعلَّقٌ على نفسه لا يتجاوز حدود أدبيَّة الأدب، وغير

- فنَّ الشَّعر، أرسطو طاليس، ترجمة: إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصريَّة، القاهرة، مصر، 2020، ص 2.95

مُتعلّق بالدراسات التاريخية والاجتماعية والفكرية والنفسية، والهدف من كلّ هذا هو فصل النظرية النقدية عن غيرها من مجالات الدراسات الأخرى.

سنحاول في هذا البحث التّطرق إلى النظرية النقدية المعاصرة عند ناقلين مميزين يُمثّلان التّيار الماركسي المُعتدل والمُتفتح على المفاهيم الحداثيّة وما بعد حداثيّة، وهما الإنجليزي تيري إيجلتون، والأمريكي فريديريك جيمسون.

2. النظرية الأدبية عند تيري إيجلتون

يبدأ "تيري إيجلتون" في كتابه "نظرية الأدب" بمدخل يُحاول من خلاله تحديد مفهوم للأدب، بطرح سؤال تقليدي لأرّم ظهور النظريات الأدبية "إذا كان ثمة نظرية أدبية، فلا بدّ أن يكون هنالك أدب هي نظريته، ويُمكننا أن نبدأ إذاً بطرح السؤال: ما الأدب؟"³، فلا يمكن لنا عقلاً أن نتحدّث عن نظرية للأدب، دون أن نتحدّث عن الأدب في حدّ ذاته، وقد انطلق "تيري إيجلتون" في مُعالجته لمفهوم الأدب باعتباره نشاطاً إنسانياً تخليلاً من جهة، ومتأثراً باجتهدات الشكليين الروس حيث كانوا يعتبرون أنّ الأدب مجرّد علاقات لغوية داخلية من جهة أخرى.

كما أنّ هذا السؤال هو امتداد لسؤال الفيلسوف الفرنسي الوجودي "جان بول سارتر" الذي عنون به كتاباً كاملاً من قبل "ما الأدب؟"، الذي انطلق في محاولته تحديد مفهوم الأدب من خلال خلفيته الفلسفية والفكرية، وذلك من خلال:

- تأثره بالنظرة الوجودية الماركسية
- اعتباره مفكراً ومُنْتجا للأدب معاً

لينتهي به الأمر إلى مفهوم "التزام الأدب"، الذي شكّل مبدئاً أساسياً في النّقد الإيديولوجي، الذي ساد في الخمسينات والستّينات من القرن العشرين.

بدأ "تيري إيجلتون" في محاولة الإجابة عن السؤال الذي طرحه باستعراض مجموعة من التعريفات، حيث يُمكن تعريفه بأنّه كتابة تخيلية، أي أنّها كتابة ليست حقيقية، إلّا أنّ هذا التعريف في نظر "تيري إيجلتون" قاصر ولا يفي بالغرض، مُستشهداً بمرحلة نُشوء الأدب الإنجليزي وتطوره منذ القرن السابع عشر، حيث لم يقتصر على أدب "وليام شكسبير" و"وبستر" و"مارفل" و"ميلتون"، بل تعدّاه إلى مقالات "فرانسيس بيكون"، ومواعظ "جون دن"، والسيرة الذاتية الروحانية لـ"بنيان".

وفي الأدب الفرنسي أثناء القرن السابع عشر تبرز كتابات مُتجرّدة من الخيال كحكم "لاروشفوكو"، ومقالات "بوالو" في الشّعر، ورسائل مدام "سيفيني"، إلى ابنتها، وفلسفة ديكارت وباسكال.

- نظرية الأدب، تيري إيجلتون، ترجمة: نائر ديب، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1995، ص 3.9

ومنه فإنّ الأدب لا يلتزم بالخيال مُطلقاً، كما أنّه لا يلتزم بالواقع مُطلقاً، وهذه الاستشهادات قادت "تيري إيغلتن" إلى القول بأنّ التمييز بين الواقع والخيال في الأدب أمرٌ غير مُمكن.

وفي محاولة لـ"تيري إيغلتن" كي يتجاوز ثنائية الواقع والخيال، تبني مقارنة الشكلايين الروس، خصوصاً مقولة الناقد الروسي "رومان جاكسون" التي تعتبر الكتابة "عُنفاً مُنظماً يُرتكبُ بحقّ الكلام الاعتيادي"⁴، وهي تعني أنّ الأدب هو ما يتجاوز اللغة العادية إلى لغة فنيّة جمالية، أو هي سؤال الشكلاية الرئيس: ما يجعل من الأدب أدباً؟

كما اعتمد على المقاربة الشكلاية أيضاً في النّظر إلى الأدب من زاوية اللغة، "لعلنا بحاجة إلى نوع مختلف تماماً من المقاربة، ولعل من المُمكن تعريف الأدب ليس تبعاً لما إذا كان تخيالياً أو (تخيلياً)، وإنّما لأنّه يستخدم اللغة بطرائق غير مألوفة"⁵، فالأدب بهذا الاعتبار نظامٌ مُغلق، يقوم على أساس العلاقات اللغوية الدّاخلية البحتة، فهل هذا ما يعتقده فعلاً "تيري إيغلتن"؟

يرى "تيري إيغلتن" بأنّ الشكلاية هي تطبيقٌ للألسنية، وتبعاً لمبادئ الشكلاية فإنّ هذه الألسنية شكلية، حيثُ تغاضى الشكلايون عن تحليل المحتوى (المضمون) وراحوا يركّزون جهودهم لدراسة الشكل الذي اعتبروه معبراً عن المضمون، بل جعلوا من المضمون بمثابة حافز للشكل، "فالمحتوى هو مجرد (تحفيز) motivation للشكل، ومناسبة أو فرصة لنوع محدّد من التّمرين الشكلي"⁶، ليجد "تيري إيغلتن" نفسه في مواجهة ثنائية أخرى الشكل/المضمون.

ناقش "تيري إيغلتن" قضية الشكل والمضمون بعد أن استحضر -تبعاً لخلفيته الاشتراكية- أقوال المفكرين والفلاسفة: هيجل وماركس وجورج لوكاتش وغيرهم، وقد وقف بالتحليل عند مقولة "جورجش لوكاتش" "إنّ الشكل هو العنصر الاجتماعي الحقيقي في الأدب"⁷، فمبدأ النّقد الماركسي الوقوف ضد كل أنواع الشكلاية في الأدب، كما يُهاجم الخصائص التقنية للأدب التي تسلبه أهميته التاريخية، ولهذا فإنّ هذا القول مُستغرب من ناقد ماركسي!

- نظرية الأدب، تيري إيغلتن، مرجع سابق، ص 4.11

- نظرية الأدب، تيري إيغلتن، مرجع سابق، ص 5.11

- نظرية الأدب، تيري إيغلتن، مرجع سابق، ص 6.13

7- الماركسية والنّقد الأدبي، تيري إيغلتن، ترجمة: جابر عصفور، دار قرطبة للطباعة والنّشر، الدّار البيضاء، المغرب، الطّبعة الثّانية، 1986، ص 27.

وقد استعرض في تنفيذ هذا القول مقولة "كارل ماركس" نفسه "ليس للشكل أي قيمة ما لم يكن شكلاً لمضمون"⁸، وهذا ما يؤكد العلاقة الجدلية المتينة بين الشكل والمضمون، فالشكل نتاج المضمون، والمضمون ما أنتجه الشكل، وما بينهما من التأثير والتأثر.

وهذا ما تؤكد عليه الفلسفة المثالية لـ "هيجل" حيث يقول في هذا المقام "كل مضمون يُحدّد شكلاً مناسباً له"⁹، فهيجل هنا متأثر بتصوره لتاريخ الفن عموماً، القائم على علاقة ثنائية لا بدّ منها بين الشكل والمضمون، ويزيدنا وضوحاً في ارتباط العلاقة الجدلية بين الشكل والمضمون، حينما يقول "ليس المضمون سوى تحوّل الشكل إلى مضمون، كما أنّ الشكل ليس سوى تحوّل المضمون إلى شكل"¹⁰.

يُحلّل "تيري إغلتن" هذه العلاقة الجدلية بين الشكل والمضمون، حيث يواجه هذا المفهوم، موقفين متعارضين من وجهة نظره:

- الأول موقف المدرسة الشكلية التي جعلت المضمون مجرد وسيلة للشكل.
- الثاني موقف الماركسية الفجة التي جعلت الشكل الفني مجرد وسيلة خارجية مفروضة على المضمون.

والحقيقة أنّ الشكل لا يتعامل مع المضمون على أنّه مادة خام، بل للمضمون الاجتماعي أو الأدبي على حد سواء عناصر تُشكّله، لها بنيتها الدالة في الفكر الماركسي، ولا يمكنها في كلّ الأحوال أن تكون مضامين إيديولوجية، وهذا ما تصدّى له "جورج لوكانش" حينما قال "أنّ الأشكال نفسها هي الحوامل الفعلية للإيديولوجيا في الفن"¹¹، فكلّما حدثت تطوّرات مهمّة في الشكل الأدبي، ينتج عنه حتماً تغييرات لا تقل أهمية في الإيديولوجيا، لتتيح طرائق جديدة في إدراك الواقع الاجتماعي.

ويستدلّ "تيري إغلتن" على سلطة تأثير الشكل على تغيير الإيديولوجيا، بتطوّر الأدب خلال القرن الثامن عشر ميلادي في كل من:

- إنجلترا، حيث اشتركت روايات هذه الحقبة في مجموعة من الأبنية الشكلية، تجسّدت بالخصوص في مجموعة من المتغيرات: تحوّل مركز الاهتمام من الرومانتيكي إلى الجانب النفسي الفردي - بروز مفهوم الشخصية الواقعية - تركيز الاهتمام على تقلّب الأحوال المادية للبطل... وغيرها.

8- الماركسية والنقد الأدبي، تيري إغلتن، مرجع سابق، ص 28.

9- الماركسية والنقد الأدبي، تيري إغلتن، مرجع سابق، ص 28.

10- الماركسية والنقد الأدبي، تيري إغلتن، مرجع سابق، ص 29.

11- الماركسية والنقد الأدبي، تيري إغلتن، مرجع سابق، ص 31.

هذه الأبنية الشكالية الجديدة كانت نتاج ظهور طبقة بوجوازية تخطى وعيها حدود الأعراف الأدبية الأرستقراطية.

- فرنسا، حيث ذهب "بليخانوف" في دراسته للأدب الفرنسي خلال القرن الثامن عشر ميلادي دائما إلى القول "أنّ التحوّل عن المأساة الكلاسيكية إلى الملهاة العاطفية في فرنسا كان يعكس التحوّل عن القيم الأرستقراطية إلى القيم البرجوازية"¹².
- والشكل في نظر "تيري إغلنتون" يتكوّن على الأقل من عناصر ثلاث:
- التّاريخ الأدبي للشكل الأدبي في حد ذاته.
- أبنية إيديولوجية سائدة و معينة.
- يُجسّد وضعاً معيناً من العلاقات بين المؤلف والمتلقّي.

والعلاقة الجدلية بين هذه العناصر هي ما يهتمّ بتحليله النّقد الماركسي، كما أنّ اختيار شكل من الأشكال الأدبية هو في حد ذاته اختيار على أساس إيديولوجي، فاللغة المتّاحة أمام الكاتب هي بدورها مُشبعة بأنماط إيديولوجية.

وقد انتهى "تيري إغلنتون" إلى أنّ الأدب لا يمكن وصفه بالموضوعية، كما لا يمكن أن يكون إختيار نزوي للبشر، "إنّ كُنّا لا نرى الأدب بوصفه مقولة (موضوعية) واصفة، فإنّ ذلك لا يعني أن الأدب يقتصر على ما يختاره البشر بصورة نزوية"¹³، فأحكام القيمة لا يُمكن أن تكون اعتباطية، فهي تخضع لامتدائها الجذري في البنى العميقة للقناعة.

وبالتّالي فأحكام القيمة هذه ذات بعد إيديولوجي، "أنّ لأحكام القيمة هذه علاقة وثيقة بالإيديولوجيات الاجتماعية"¹⁴، فهي تتجاوز الدّوق الخاص في كلّ الأحوال.

وكمحصّلة للنّقاشات المستفيضة لـ "تيري إغلنتون" حوّل مفهوم الأدب، عرّف الأدب بقوله "قالأدب بالمعنى الذي ورّثناه للكلمة هو إيديولوجيا، وتربطه أشدّ العلاقات صميمية بمسائل السلطة الاجتماعية"¹⁵.

3. النّظرية الأدبية عند فريديريك جيمسون

يُعالجُ "فريديريك جيمسون" مواضيع الثقافة والإيديولوجية متأثراً بفلسفة "هيجل"، ومحاولاً في نفس الوقت تطوير هذا المنهج بما يلائم التّطورات السّريعة التي شهدت إنحصار المدّ الحداثي وتآزمه، وصعود

12- الماركسية والنّقد الأدبي، تيري إغلنتون، مرجع سابق، ص 32.

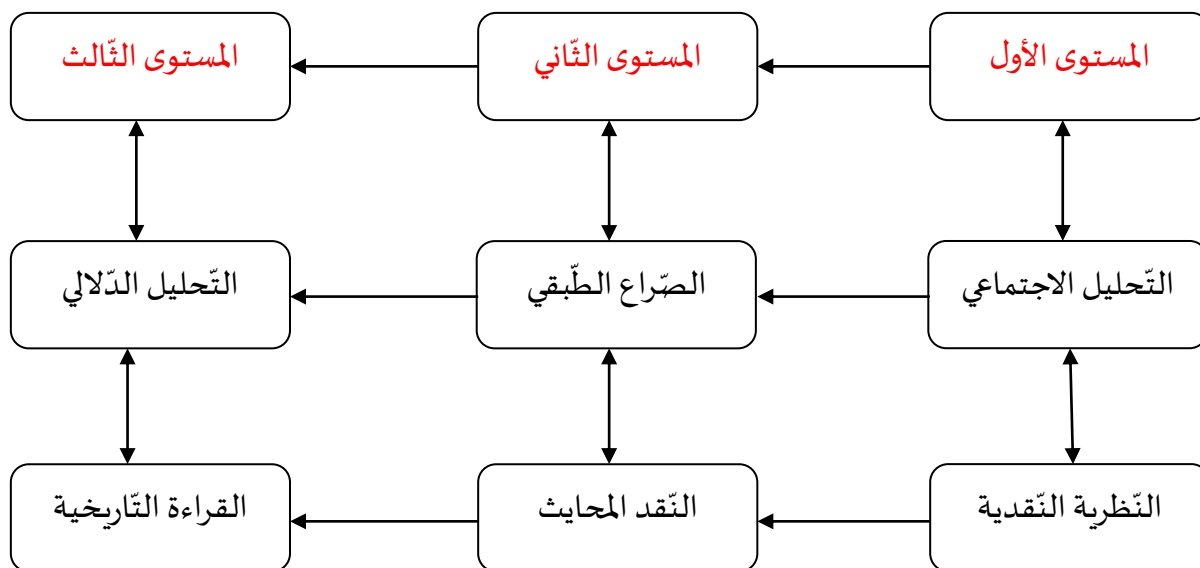
- نظرية الأدب، تيري إغلنتون، مرجع سابق، ص 13.35

- نظرية الأدب، تيري إغلنتون، مرجع سابق، ص 14.35

- نظرية الأدب، تيري إغلنتون، مرجع سابق، ص 15.46

تتأثر المابعد حدثي، وهذه الجهود المُعتبرة تتدرج ضمن مسعاه العام الهادف إلى إحياء الماركسية، وذلك من خلال البرهنة على قدرة الماركسية على فهم المتغيرات التي أفرزتها موجة ما بعد الحداثة بالمجتمعات الغربية.

النَّظَريَّةُ عموماً عند "فريدريك جيمسون" هي في جوهرها وجهة نظر فلسفية، "سأبدأ بتحديد مفهومي عن ماهية النَّظَريَّة، أعتقد أنَّ النَّظَريَّة تأخذ في الحلول محل الفلسفة"¹⁶، فإذا كان ارتباط الإيديولوجية بالفلسفة أمراً مُستساغاً، فإنَّ ارتباط الإيديولوجية بالنَّظَريَّة الأدبية عند "فريدريك جيمسون" مرتبطٌ بالعنصر اللُّغوي، "المكوّن الإيديولوجي الذي لا مفرّ من اقتحامه لكل ممارساتنا اللُّغوية"¹⁷، فلغة الخطاب الأدبي هي بمثابة الشَّكل، ويوافق "فريدريك جيمسون" "جورج لوكاتش" و "تيري إيغلتن" في اعتبار أنَّ الشَّكل هو من يحمل الرِّسائل الإيديولوجية، "وإنَّما الشَّكل نفسه أيضاً وريماً بدرجة أكبر هو حامل الرِّسائل الإيديولوجية والمتواجد كحقيقة اجتماعية"¹⁸، هذه الحقيقة الاجتماعية نابعة من التَّحليل الاجتماعي ضمن المنهج الذي اقترحه "فريدريك جيمسون" ذو المستويات الثَّلاث الأساسيّة¹⁹، الذي تتشكَّل فيه الظواهر الثقافيَّة، وهو على الشَّكل الآتي:



16- أعراض النَّظَريَّة أم أعراض للنَّظَريَّة، فريدجيريك جيمسون، ترجمة: محمَّد هاشم عبد السَّلام، مجلة نوافذ، العدد ثلاثون، 2004، ص 115.

17- أعراض النَّظَريَّة أم أعراض للنَّظَريَّة، فريدجيريك جيمسون، مرجع سابق، ص 116.

18- أعراض النَّظَريَّة أم أعراض للنَّظَريَّة، فريدجيريك جيمسون، مرجع ساق، ص 128.

19- جدلية العلاقة بين الإيديولوجيا واليوتوبيا عند فريدجيريك جيمسون، حمدي عبد الحميد محمد الشَّريف، مجلَّة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد ثلاثون، السَّنة ثلاثون، ص 276.

فالمستوى الأول يُعني بتحليل الظواهر الثقافية من خلال سياقاتها الاجتماعية، وهو هنا يُعارض مناهج التحليل الأدبي التي أقصت السياق الخارجي، واكتفت بالنسق الداخلي، ومنها المنهج البنيوي الذي يعتمد في تحليله على البناء اللغوي الداخلي.

وتبعاً لخلفية "فريدريك جيمسون" الماركسية، فإنه يربط بين "النصوص وعناصرها السردية والإيديولوجية من ناحية، وبين البناء التّحتي للمجتمع من ناحية أخرى، من خلال اعتبار أنّ الأولى أفعالاً رمزية للثانية"²⁰، ومنه فالإيديولوجية هنا ليست ممارسة مستقلة بذاتها معزولة عن التاريخ (كما تزعم الشكلائية)، كما أنها ليست إنعكاس للبناء التّحتي للمجتمع (كما تزعم الماركسية المتشددة وقد أسماها "تيري إغلتن" من قبل بالماركسية الفجة)، بل هي جزء لا يتجزأ من البناء اللغوي للنصوص، وبهذه المرونة يمكن تجاوز بعض العقبات التي وقفت في وجه بعض المناهج النقدية خصوصاً الشكلائية والبنيوية.

ومنه فالنظرية النقدية في هذا المستوى هي ذات بُعد اجتماعي، ومن الواضح أنّ "فريدريك جيمسون" متأثر هنا بجهود "ثيودور أدورنو"²¹ في تطويره للتقاليد الجدلية الماركسية، والمفهوم الذي رد به على التّفكّيين "الكل الاجتماعي".

في المستوى الثاني نجد تأثير كبير لـ"جورج لوكانش" على "فريدريك جيمسون" خصوصاً وهو يُعيد مفهوم "الكل الاجتماعي" الذي يعني "جملة العلاقات المادية وغير المادية بين الأفراد، ويشمل الثقافة، والعالم المادي في كلّ مكان وزمان معينين"²²، هذه العلاقات تتوزع وفق النظرة الماركسية إلى بناء فوقي وهو يشمل الإطار الفكري، وبناء تحتّي يشير إلى نمط الإنتاج، وبينهما علاقات وقوى الإنتاج.

يبدو أنّ منهج "فريدريك جيمسون" في هذا المستوى ذو طابع محايد، "ومن الملاحظ أنّ منهج جيمسون ذو طابع محايد (Immanent)، حيث يُركّز على تحليل الإيديولوجيا ووصف اشتغالها أو عدم اشتغالها في ضوء تطوّر نمط الإنتاج"²³، وقد حاول "فريدريك جيمسون" الخروج من المعادلة الماركسية التقليدية التي تُفسّر الصّراعات الطبّقيّة وحركتها التاريخيّة ونمط التغيّر الحاصل فيها بواسطة العلاقة بين البناء التّحتي والبناء الفوقي، بتبنيّه مفهوم فلسفي جدلي، "فإنّ هذه العلاقة عند جيمسون تمثّل مفهوماً فلسفياً يشير إلى الواقع الذي يتطوّر بشكل جدلي"²⁴، كما التزم المرونة في معالجة مفهوم نمط الإنتاج، حيث أنّ البناء الفوقي يتكوّن من الميدان السياسي والقانوني من جانب، ومن الميدان الثقافي والإيديولوجي من

20- جدلية العلاقة بين الإيديولوجيا والبيوتوبيا عند فريدريك جيمسون، مرجع سابق، ص 278.

21- جدلية العلاقة بين الإيديولوجيا والبيوتوبيا عند فريدريك جيمسون، مرجع سابق، ص 278.

22- جدلية العلاقة بين الإيديولوجيا والبيوتوبيا عند فريدريك جيمسون، مرجع سابق، ص 283.

23- جدلية العلاقة بين الإيديولوجيا والبيوتوبيا عند فريدريك جيمسون، مرجع سابق، ص 281.

24- جدلية العلاقة بين الإيديولوجيا والبيوتوبيا عند فريدريك جيمسون، مرجع سابق، ص 276.

جانب آخر، ومع أن عناصر البناء الفوقي مرتبطة لزوماً بالأساس الاقتصادي، إلا أن ارتباط الميدان السياسي والقانوني ارتباطاً مباشراً، بينما ارتباط الميدان الثقافي والإيديولوجي أقل ارتباطاً، مما يُشكل نوعاً من الاستمرارية الثقافية والإيديولوجية التي تلازم البناء الفوقي.

في المستوى الثالث يتعامل "فريدريك جيمسون" مع الإيديولوجية وعلاقتها بالتاريخ، حيث تُعتبر اللحظات التاريخية تجسيد فعلي لخطابات (نصوص) مكتوبة مسبقاً ومتعلقة لزوماً بالزمن الماضي، ولتفسير هذه النصوص وجب القراءة بمنهج خاص أسماه "فريدريك جيمسون" بمنهج "ما وراء التعليق Metacommentary"، ويعني "إعادة التقييم من منظور تاريخي لجملة التغيرات في التفسيرات المختلفة المتنافسة للظواهر الثقافية والإيديولوجية"²⁵.

يتعامل "فريدريك جيمسون" هنا مع الإيديولوجية باعتبارها خطاب مُسبق يعبر عن لحظة تاريخية معينة، ولا يتعامل معها على أنها ظاهرة مستقلة بذاتها.

4. خاتمة:

لقد شكّلت نظرية المحاكاة الأرسطية النظرية الإنسانية الأولى، وجسّدت الخلفية الفكرية والتاريخية للفنون عامةً، منذ القرن الرابع قبل الميلاد إلى غاية أوائل القرن العشرين ميلادي، حيث بدأت بوادر التحرر من قيود هذه النظرية التقليدية الكلاسيكية بعد أن نشر الشكلائي الروسي فيكتور شيكلوفسكي Victor Shiklovsky سنة 1917 مقالته الرائدة "الفن بوصفه أداة"، لتتوالى بعد ذلك الاجتهادات من أجل تطوير النظرية الأدبية، ومن هذه الجهود المُعتبرة، جهود كل من "تيري إيغلتن"، و "فريدريك جيمسون".

تبلورت النظرية الأدبية عند "تيري إيغلتن" من خلال كتابه المشهور "نظرية الأدب"، أين حاول تجاوز مبادئ الماركسية الفجة، وهو يتطرق بالنقاش لمجموعة من الثنائيات الضدية شكّلت على نحو ما الأساس لكثير من النظريات الأدبية، ومن أهم هذه الضديات: الواقع / الخيال، الشكل / المضمون. وانتهى به النقاش على اعتبار أن الأدب هو عبارة عن إيديولوجيا.

تشكّلت النظرية الأدبية عند "فريدريك جيمسون" من خلال جهوده المُعتبرة في تطوير أفكار المنهج الماركسي كي يستوعب المناهج الأخرى، بل ويكون الإطار النظري لها، وقد بدأ من حيث انتهى "تيري إيغلتن" من اعتبار أن الأدب هو إيديولوجية إجتماعية، من خلال نموذج اقترحه ذو مستويات ثلاث:

- المستوى الأول يتعامل مع الإيديولوجيا باعتبارها فعلاً رمزياً

25- جدلية العلاقة بين الإيديولوجيا واليوتوبيا عند فريدريك جيمسون، مرجع سابق، ص 284.

- المستوى الثاني يتعامل مع الإيديولوجيا باعتبارها وحدة إيديولوجية ذات خطاب اجتماعي طبقي
- المستوى الثالث يتعامل مع الإيديولوجيا باعتبارها خطابات تاريخية مُسبقة
- ومنه فالنظرية الأدبية عند "فريدريك جيمسون" هي مفهوم إيديولوجي مكوّن للبناء الفوقي المُوازي للبناء التّحتي، والتفاعلات بينهما هي تفسير إيديولوجي يُشكّل النظرية النّقدية أو نقد مُحايث، أو قراءة تاريخية، وفق كل مستوى من المستويات الثلاث والتي هي بدورها إنعكاس لثلاث أبعاد على التّرتيب: اجتماعي إقتصادي تاريخي.

5. قائمة المراجع:

- أرسطو طاليس، فن الشعر، ترجمة: إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2020.
- تيري إغلتن، نظرية الأدب، ترجمة: ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1995.
- تيري إغلتن، الماركسية والنقد الأدبي، ترجمة: جابر عصفور، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 1986.
- تيري إغلتن، الفينومينولوجيا الهرميونيطيقا ونظرية التلقي، ترجمة: توفيق سخّان، مجلة نوافذ، العدد ستة وعشرون، 2003.
- فريدريك جيمسون، ما بعد الحداثة المنطق الثقافي للرأسمالية المتأخرة، ترجمة: أحمد حسان، مجلة الجراد، مارس 1994.
- حمدي عبد الحميد محمد الشريف، جدلية العلاقة بين الإيديولوجيا واليوتوبيا عند فريدريك جيمسون، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد ثلاثون، السنة ثلاثون.
- فريدجيريك جيمسون، أعراض النظرية أم أعراض للنظرية، ترجمة: محمد هاشم عبد السلام، مجلة نوافذ، العدد ثلاثون، 2004.